الآيات في الموالاة من الأنفال والتوبة

_____

*1- (**إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير، والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آوو ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم، والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم**) [سورة الأنفال 72- 75].

قال القرطبي رحمه الله:

(الثانية قوله تعالى وإن استنصروكم في الدين يريد إن دعوا هؤلاء المؤمنون الذين يهاجروا من أرض الحرب عونكم بنفير أو مال لاستنقاذكم فأعينوهم فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم إلا أن يستنصروكم على قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته ابن العربي إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة حتى لا تبقى منا عين تطرف حتي تخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم كذلك قال مالك وجميع العلماء فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد) (تفسير القرطبي ج 8 ص 57)

قال ابن كثير رحمه الله:

(الآيات 872 72 ذكر تعالى أصناف المؤمنين وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاءوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك والى أنصار وهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم وواسوهم في أموالهم ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم فهؤلاء بعضهم أولياء بعض أي كل منهم أحق بالآخر من كل أحد ولهذا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار كل اثنين إخوان فكانوا يتوارثون بذلك إرثا مقدما على القرابة حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث

.....
وقوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم
.....
من شيء حتى يهاجروا هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا بل أقاموا في بواديهم فهؤلاء ليس لهم في المغانم نصيب ولا في خمسها إلا ماحضروا فيه القتال كما قال أحمد 5352 حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميرا على سرية أو جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا وقال اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأعلمهم إن فعلوا ذلك أن لهم ماللمهاجرين وأن عليهم ماعلى المهاجرين فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولايكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبو فادعهم إلى إعطاء الجزية فان أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم فإن أبو فاستعن بالله وقاتلهم انفرد به مسلم 1731 وعنده زيادات أخر وقوله وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر الآية يقول تعالى وإن استنصروكم هؤلاء الأعراب الذين لم يهاجروا في قتال ديني على عدو لهم فانصروهم فإنه واجب عليكم نصرهم لأنهم إخوانكم في الدين إلا أن يستنصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق أي مهادنة إلى مدة فلا تخفروا ذمتكم ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنه) (تفسير ابن كثير ج 2 ص 329، 330)

2- (**كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون، اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون، لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة وأولئك هم المعتدون**) [التوبة 8، 9]

3- (**يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس**) [التوبة 28]

---

*3- (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون، قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين**)[التوبة 32، 24]

قال ابن كثير رحمه الله:

(أمر تعالى بمباينة الكفار به وإن كانوا آباء أو أبناء، ونهى عن موالاتهم إن استحبوا أي اختاروا الكفر على الإيمان، وتوعد على ذلك، كقوله: (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار) الآية.

وروي الحافظ البيهقي من حديث عبد الله بن شوذب قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينعت له الآلهة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الجراح قصده ابنه أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله فيه هذه الآية. .....

ثم أمر تعالى رسوله أن يتوعد من آثر أهله وقرابته وعشيرته على الله ورسوله وجهاد في سبيله فقال: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها) أي اكتسبتموها وحصلتموها، (وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها) أي تحبونها لطيبها وحسنها. أي إن كانت هذه الأشياء أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله (فتربصوا) أي فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم.

ولهذا قال (حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين). .....

وقد ثبت في الصحيح خ 15 م 44 عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين). وروى الإمام أحمد وأبو داود .....عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم). (تفسير ابن كثير ج 2 ص 343، 344)

---

*4- (**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون**) [سورة التوبة 67]
- قال ابن جرير الطبري رحمه الله:
(المنافقون والمنافقات) وهم الذين يظهرون للمؤمنين الإيمان بألسنتهم، ويسرون الكفر بالله ورسوله.
(بعضهم من بعض) يقول هم صنف واحد، وأمرهم واحد في إعلانهم الإيمان واستبطانهم الكفر (يأمرون) من قبل منهم (بالمنكر) وهو الكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وتكذيبه (وينهون عن المعروف) يقول وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله وبما جاءهم به من عند الله.
وقوله (ويقبضون أيديهم) يقول ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله ويكفونها عن الصدقة
.....
وأما قوله (نسوا الله فنسيهم) فإن معناه تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته.....
قوله (إن المنافقين هم الفاسقون) يقول إن الذين يخادعون المؤمنين بإظهارهم لهم بألسنتهم الإيمان بالله وهم للكفر مستبطنون هم المفارقون طاعة الله الخارجون عن الإيمان به وبرسوله).
(تفسير الطبري ج 10 ص 174، 175)
---
*5- (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**) [سورة التوبة 71].
قال ابن كثير رحمه الله:
(لآيات 971 71 لما ذكر تعالى صفات المنفقين الذميمة عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة فقال والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض أي يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الصحيح خ 481 م 2585 المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه وفي الصحيح أيضا خ 6011 م 2586 مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وقوله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية وقوله

ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة أي يطيعون الله ويحسنون إلى خلقه ويطيعون الله ورسوله أي فيما أمر وترك ما عنه زجر أولئك سيرحمهم الله من اتصف بهذه الصفات إن الله عزيز أي يعز من أطاعه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين حكيم في قسمته هذه الصفات لهؤلاء وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة فإن له الحكمة في جميع ما يفعله تبارك وتعالى) (تفسير ابن كثير ج 2 ص 370)